ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما وما ذلك الصواب فى تشبيه المحسوس بالمعقول
ان يقدر البليغ المعقول محسوسا ويجعل اصل المحسوس على طريق المبالغة فرعا فيصح التشبيه
حينيذ كقول الشاعر وكان النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع
فانه لما شاع وصف السنة بالبياض والاشراق لقول النبى صلى الله عليه وسلم اتيتكم
بالحنيفية البيضا ليلها كنهارها واشتهرت البدعة وكل ما ليس بحق بالظلمة والسواد
لقولهم ليل الشرك اقام هذا الشاعر السنن مقام الاجناس التى لها اشراق وبياض
والبدع مقام اجناس السواد والظلمة فصار ذلك عنده كتشبيه محسوس بمحسوس فجاز
له التشبيه على هذا التقدير كقول ابى طالب الرقى
ولقد ذكرتك والظلام كانه يوم النوى وفواد من لم يعشق
فانه لما كانت الاوقات التى تحدث فيها المكاره توصف بالسواد كقول من يخياله
مكروه اسودت الدنيا فى عينى جعل هذا الشاعر يوم النوى اشهر بالسواد من الظلام
فشبهه وعرفه به ثم عطف عليه بفواد من لم يعشق تظرفا لان ظريف العشاق يدعى
قسوة قلب من لم يعشق والقلب القاسى يوصف بشدة السواد فصار هذا القلب عنده
اصلا فى السواد على هذا التقدير فقس على ذلك ومثله قول القايل
اسفر ضوء الصبح من وجهه فقام خال الخد فيه بلال
كانما الخال على خده ساعة هجر فى زمان الوصال
سواد ساعة الهجر وبياض زمان الوصال قد فهم على ما تقرر ونكرر ومن ذلك قول الشاعر
كان انتضا البدر من تحت غيمه نجاة من الباسا بعد وقوع
ومن البديع الغريب فى هذا الباب قول القاضى التنوخى
اما ترى البدر قد وافى عساكره وعسكر الحر كيف انساب منطلقا
فانهض بنار الى فحم كانهما فى العين ظلم وانصاف قد اتفقا
جات ونحن كقلب الصب حين سلا بردا فصرنا كقلب الصب اذ عشقا
ويعجبنى هنا قول الصاحب ابن عباد وقد اهدى الى القاضى ابى الحسن على بن عبد العزيز
الجرجانى عطرا اهديت عطرا مثل طيب ثنايه فكانما اهدى له اخلاقه
ومن التشابيه البليغة فى هذا الباب قول الشهاب محمود فى تشبيه بعض الحصون البالغة
فى علوه كانه وكان الجو يكنفه وهم تكيفه فى طيها الفكر
وغاية الغايات فى هذا الباب اعنى تشبيه المحسوس بالمعقول قول ابى نواس
معتقه

معتقه صاغ المزاج لراسها اكاليل در ما لناظمها سلك
جرت حركات الدهر فوق سكونها فذابت كذوب التبر اخلصه السبك
وادرك منها الغابرون بقية من الروح فى جسم اضربه النهك
وقد خفيت من لطفها فكانها بقايا يقين كاد يذهبه الشك
ومثله قوله واجاد فيه الى الغاية
وندمان سقيت الراح صرفا وستر الليل منسدل السجوف
صفت وصفت زجاجتها عليها كمعنى دق فى ذهن لطيف والذى سارت به الركبان
فى هذا الباب قوله فتمشت فى مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم انتهى ما اوردته
من تشبيه المحسوس بالمعقول وتقرير صوابه وايراد بديعه وغريبه وقد تقرر
وتكرر ان تشبيه المحسوس بالمحسوس هو المقدم فى باب التشبيه وعلى اسه شيد
اصحاب البديعيات بيوتهم ولكن بيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته غير صالح للتجريد
فانه متعلق بالبيت المشتمل على ائتلاف اللفظ مع المعنى فيتعين ايراد البيتين هنا
ليظهر نتيجة التشبيه فبيت ائتلاف اللفظ مع المعنى فى بديعيته قوله
كانما حلق السعدى منتثرا على الثرى بين منفض ومنفصم
حروف خط على طرس مقطعة جات بها يد غمر غير مفتهم
قلت الكمال لله كل من البيتين فيه نقص لافتقاره الى الاخر ولو تجرد احدهما عن اخيه
ما حسن السكوت عليه ولا تمت به فايده وكيف يصح التشبيه فى بيت واحد جل القصد به
ان يكون بمجرده مثالا للنوع المذكور والمشبه فى البيت الاول والمشبه به فى البيت
الثانى والذى اقوله اننى لم ار فى البيت الاول المشتمل على ائتلاف اللفظ مع
المعنى معنى ولا على بيت التشبيه الذى بعده للبلاغة بهجة لافتقاره الى الاول
والله اعلم ومن اغرب ما ينقل هنا ان العميان ما نظموا نوع التشبيه فى بديعيتهم
ونظموا رد العجز على الصدر وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته
قوله يمدح النبى صلى الله عليه وسلم
وقبل البدر تشبيه اليه نعم نجم الثريا له كالنعل فى القدم
بيت الشيخ عز الدين هنا صالح للتجريد بخلاف بيت الشيخ صفى الدين اذ المراد به ان يكون
بمجرده شاهدا على نوع التشبيه ولكن معناه ماخوذ من بيت الفاضل فى قصيدته الطايية
المشهورة والبيت الماخوذ منه هذا المعنى قوله منها

وانتجه نقوله فى التشبيه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)